شعرية العنوان عند" بشير مفتي"

الأستاذة: راجيـــة غانيـــة
قسم الآداب واللغة العربية
كلية الآداب واللغات
جامعة محمد خيضر– بسكـــرة

الملخص:

يعتبر العنوان لب العمل الأدبي لأنه يمثل هوية النص، وهو عبارة عن جواز عبور القارئ لداخل النص، وتجتمع في العنوان المعاني والدلالات التي تجعله منفتح على العديد من القراءات، لذلك يعنى الكتاب عناية بالغة في اختيار العناوين الغريبة والمغرية لرواياتهم كي يستطيعوا من خلالها جذب المتلقي لهذه الأعمال الإبداعية.

ومن هنا نطرح التساؤلات التالية:

- ما مفهوم الشعرية؟
- وما مفهوم العنوان أو العتبة؟
- ماذا نعني بشعرية العنوان؟
- ما مدى انسجام العنوان مع النص في روايات بشير مفتي؟

الكلمات المفتاحية:

الشعرية– العنوان– بشير مفتي– الرواية

مصطلح الشعرية من المصطلحات الغامضة التي بها لبس كبير وقد أحدث هذا المصطلح ضجة كبيرة على الصعيدين العربي والغربي، فأولاه الباحثون اهتمام كبير لأن حضوره قوي جدا في النصوص الأدبية.

ولأن هذا المصطلح لم يعد مقصورا في دلالته على الشعر بل أخذ يتغلغل في جميع الأجناس الأدبية ويفرض نفسه دوما في كل جنس يدخله.

1- الشعرية:

أ- لغة:

ورد في لسان العرب لابن منظور في مادة (ش ع ر): شعرية أي علم وليت شعري أي ليت علمي حاضر أو محيط بما أصنع وشعرت لفلان أي قلت له شعرا.[1]

ب- اصطلاحا:

لم نجد تعريفا واضحا ودقيق لمفهوم الشعرية، فلا يزال يحيط بهذا المصطلح الكثير من الغموض فقد اتخذ عدة مفاهيم و تعاريف، وأول ظهور لمصطلح الشعرية كان عند أرسطو في كتابه فن الشعر Poetics الذي يحمل نفس الكلمة التي تطلق على الشعرية في اللغة الإنجليزية، ويعتبر هذا الكتاب أول عمل منهجي في هذا المجال.[2]

ويرى أرسطو أن الشعر صنعة وفن ومحاكاة، أي أنه يمثل أفعال الناس ما بين أفعال خير وأفعال شر وهذا ليس إلهاما ووحيا بل مصدره العقل والوعي.[3]

كذلك نجد في تراثنا النقدي القديم مصطلحات كثيرة هي الأقرب لمفهوم الشعرية كـــ(صناعة الشعر للجاحظ ونقد الشعر لقدامة بن جعفر وعيار الشعر لابن سلام الجمحي) وغيرهم، فمعظمهم يرى أن الشعر صناعة واللفظ معناه.

وورد في كتاب ابن سلام الجمحي طبقات فحول الشعراء" إن الشعر صناعة وثقافة، يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات ومنها ما يثقفه اللسان".[4]

إذا فصناعة الشعر ليست متاحة لكل الناس وإنما تحتاج إلى موهبة ومعرفة تكتسب عن طريق الممارسة.

كذلك هناك بعض الدارسين الذين أرجعوا أصول الشعرية في النقد إلى ثنائية اللفظ والمعنى التي نادى بها الجاحظ في القرن الثالث الهجري.[5]

لكنه نضج أكثر مع الفلاسفة المسلمين أمثال ابن رشد وابن سينا والفرابي الذين اتبعوا أرسطو في تعريفه للمحاكاة وعمومها على سائر الفنون.[6]

وقد امتدت جذور الشعرية إلى النقد الحديث فقام نقاد الغرب بالاهتمام بها كثيرا وحاولوا تحديد ماهيتها بشكل واضح.

ومن الأعلام البارزين الذين تحدثوا عن الشعرية نجد جون كوهين ورومان جاكبسون وتودوروف وغيرهم.

حيث يرى رومان جاكبسون في كتابه" قضايا الشعرية" يقدم لنا تعريفا موجزا لها حيث يقول" ويمكن تحديد الشعرية باعتبارها ذلك الفرع من اللسانيات الذي يعالج الوظيفة الشعرية في علاقاتها مع الوظائف الأخرى للغة وتهتم الشعرية بالمعنى الواسع للكلمة"[7]

أما الدارسين العرب والمحدثين نجد كمال أبو ديب يقول" أن الشعرية تجسد النص وهي شبكة من العلاقات تنمو بين مكونات أولية سمتها الأساسية أن كلا منها يمكن أن يقع في سياق آخر دون أن يكون شعريا لكنه في السياق الذي تنشأ فيه أخرى لها السمة الأساسية ذاتها يتحول إلى فاعلية خلق للشعر ومؤثرا على وجودها"[8]

وهذا المفهوم الذي ورد على لسان كمال أبو ديب يختزل جل الإرث النقدي البنيوي في مقاربته لشعرية النصوص الأدبية.

وهو يرى أيضا أن الشعرية" خصيصة نصية لا ميتافيزيقيا إلا أنها قابلة للتحليل والوصف وعلى الرغم من تعدد التعاريف فالشعرية وصفت بأنها عنف منظم يمارس ضد الكلام العادي"[9]

2- العنوان:

لقد حظي العنوان باهتمام كبير لدى الباحثين والمنظرين بوصفه جزءا من شبكة الدلالة لنص السردي. والعنوان لا يوضع هكذا اعتباطا على الغلاف بل يمدنا بمعاني تلك الرموز في النص ويسهل علينا الدخول في أغواره[10].

فالعنوان لدى الدارسين بمثابة المنارة التي تضيء النص الأدبي.

أ- لغة:

ورد في لسان العرب لابن منظور في مادتين مختلفتين هما(ع ن ن) و(ع ن ا).

ففي مادة عنن عن الشيء يعن وعننا وعنونا هو بمعنى ظهور أمامك وعن يعن عنا هو اعترض، ومنه قول امرؤ القيس **فعن لنا سرب كأن نعاجه**

أما مادة عنا لها العديد من المعاني منها الظهور والاعتراض والأثر.[11]

ب- اصطلاحا:

يعتبر العنوان من أهم العتبات النصية التي تغري الباحث

1* العنوان عند الغرب:

يرى ليهوك أنه عبارة عن مجموعة من العلامات اللسانية التي يمكن أن ترسم على نص ما من أجل أن تشير إلى المحتوى العام وأيضا من أجل جذب القارئ[12].

أما جون ريكاردو فقد تعمل مع العنوان من منطلق تنظيري وتطبيقي وأعتبره أداة كتابية مناسبة لزعزعة أسس النص الكلاسيكي.[13]

إذا فالعنوان من أهم العتبات النصية المحيطة بالنص كونه يسهم في توضيح دلالاته واستكشاف معانيه، ومن هنا فالعنوان هو المفتاح الضروري لكشف خباياه كما أنه الأداة التي بها يحقق أتساق النص وانسجامه[14].

2* العنوان عند العرب:

لقي العنوان أهمية كبيرة عند الغرب كما نجد أنه حصل على اهتمام كبير من النقاد والدارسين العرب.

فهنا جميل حمداوي يعرفه بقوله أنه" له مجموعة من الدلالات اللسانية يمكنها ان تثبت في بداية النص من أجل تعيينه والإشارة إلى مضمونه الجمالي من أجل جذب الجمهور المقصود"[15]

فالعنوان عنده هو عبارة عن اختيار الروائي عدة أنماط لها دلالة متعلقة بالنص لإغراء القارئ وجذبه.

ويرى الناقد الطاهر روابنية أن" العنوان هو أول عبارة مطبوعة وبارزة من الكتاب ... "[16]

إذا فالعنوان أهمية كبيرة في التعريف بالنص وهو البوابة الكبرى للدخول إلى أي نص والغوص في معالمه.

الدراسة رواية" أرخبيل الذباب" أنموذجا:

- **الرواية:**

هذه الرواية حظية بطبعة ثانية، حيث كانت الطبعة الأولى من منشورات البرزخ، الجزائر سنة 2000م، الطبعة الثانية في الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف سنة 2010م.[17]

وهي رواية تتكون من 143 صفحة، وقد أورد بشير مفتي في هذه الرواية عنوانا رئيسيا ومجموعة من العناوين الداخلية(مونولوغ- كوابيس- محمود البراني) وهي عبارة عن عناوين فرعية تتدرج تحت عنوان كبير ألا وهو أرخبيل الذباب.

- **ملخص الرواية:**

تحكي الرواية فترة زمنية عاشتها الجزائر من قبل وهي فترة العشرية السوداء – العشرية الدامية –.

حيث يعالج الكاتب في هذه الرواية أحداث القتل والدمار والخوف والرعب بأسلوب سردي مميز، ويتحدث فيها عن الحب والحياة ويخوض في الدين والسياسة.

وهي تعيد سرد الجانب المظلم والدامي من تاريخ الجزائر والصراع الذي عاشته الطبقة المثقفة من خوف ورعب.

وتحكي كذلك عما عاناه رجال الإعلام من تضييق على الحريات بلغ حد التهجير والتقتيل.

وتجري أحداثها بين وهران والعاصمة وقد استهل الكاتب روايته بقول للفيلسوف مارتن هيدجر حيث يقول" الانسان يتيه، إنه لا يسقط في التيه في لحظة معينة. إنه لا يتحرك إلا في التيه لأنه ينغلق وهو ينفتح وبذلك يجد نفسه دوما في التيه."[18]

وهذا التقديم يجعل القارئ يتساءل عن سبب وجوده في هذه الحياة. وهناك العديد من الشخصيات الواردة في هذه الرواية ومنهم (س) وهو الراوي، ومصطفى الصحفي الذي خاف واضطر إلى الهجرة خوفا من القتل.

محمود البراني المثقف الشغوف بالكتب الذي عاد إلى الوطن بعد هجرة طويلة.

والرسام سمير الهادي الفنان الحساس الذي لم تذكر الرواية إن كان قد قتل أو انتحر وهو لم يكمل لوحته الفنية.

ونادية وهي فتاة جريئة لعوب ويحيط بها الكثير من الغموض.

إضافة إلى العديد من الشخصيات الهامشية الموجودة في الرواية.

وقد بدأ الكاتب الرواية بفصل المونولوغ واستهل هذا الفصل بالتساؤل حول الحرب والحب.

وبعدها فصل كوابيس الذي يسيطر عليه الحديث الداخلي.

وآخر فصل محمود البراني انتقل من الراوي محمود البراني الذي كانوا يعتقدون أنه قتل لكنه هرب ولم يقتل ليعود ويروي المشاهد التي لم يرويها الراوي (س). ويعيد ترتيب الأحداث من جديد ليظهر في النهاية أنه والد نادية الحقيقي وهو مازال متفائلا على الرغم مما حدث

وقد جاء العنوان الرئيسي أي عنوان الرواية" أرخبيل الذباب" مركبا تركيبا ناقصا فهو مكون من مضاف ومضاف إليه مطالبا بذلك بقرينة لغوية لإتمامه على اعتبار أن أصله " **هذا أرخبيل الذباب**"

فأرخبيل هي خبر لمبتدأ محذوف تقديره هذا وهو مضاف.

والذباب مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

حيث قام هنا بحذف المبتدأ تاركا القارئ يؤول النص كيف يشاء.

وكلمة أرخبيل هي كلمة تنتمي لمعجم جغرافي وكلمة ذباب تنتمي لحقل الحشرات وهو هنا يشير إلى ما يوجد في متن الرواية من تعاسة تحيط بالمجتمع الجزائري لأنه كان يعيش بين طبقتين دينية وسياسية.

وهنا يقصد كذلك بمصطلح الذباب هو المجتمع وكيف للمجتمع أن يكون هشا كالذباب، وقد صرح بشير مفتي أنه استوحى عنوان روايته من المثل الشعبي القائل(يموتوا كالذبان)، ويقصد أن المجتمع الجزائري هش كالذباب، أو يقصد أن الشعب الجزائري يقتل كالذباب.

كذلك بالنسبة للعناوين الفرعية فالعنوان الأول ورد باسم المونولوج وهو مرتبط بمضمون الرواية لأن الشخصية الأولى وبطل الرواية هو (س) الذي اتخذ دور الراوي وهو يحكي بطريقة المونولوج" لم تكن الحرب واضحة ..

لم تكن علاقتنا أيضا واضحة .. كنا بحاجة إلى تبرير كل شيء .. وأمام لا معنى الحرب .. كان هناك لا معنى في الحب ..

هل هي الحرب؟

أم هو الحب فقط .."[19]

كذلك مع باقي العناوين ..

وأرخبيل الذباب هي رواية سياسية ثقافية، فهي تحكي قصة المجتمع الذي يعيش حالة من الاضطراب والضبابية ويتجسد هذا في المقولة التي تتصدر الرواية للمفكر والفيلسوف مارتن هيدجر" الإنسان يتيه، إنه لا يسقط في التيه في لحظة معينة. إنه لا يتحرك إلا في التيه لأنه ينغلق وهو ينفتح وبذلك يجد نفسه دوما في التيه"[20]

وهذه العبارة تضع قارئ الرواية منذ البداية في حالة من التيهان حيث لا يجد الحقيقة أو النتيجة المنتظرة بعد الانتهاء من عملية القراءة، أي بدأ بحالة من التيه وينتهي بحالة من التيه.

خلاصة القول: الرواية تحكي واقع مرير عاشته الجزائر من قبل وكيف كان الشعب الجزائري يعيش حالة من الغموض والخوف وكيف كان هشا كالذباب وكيف كان قتل الناس سهل كقتل الذباب.

الهوامش:

1 ابن منظور، لسان العرب، مادة (ش ع ر)، المجلد 4، دار صادر، بيروت، لبنان. ص 409.

2 سعيد بكير، الشعرية عند أدونيس بين المفهوم والتجريب، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الأدب العربي، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران، 2013/2012، ص 13.

3 المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

4 ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، (دط)، (دت)، ص 5.

5 عبد السلام بادي، الشعرية العربية بين أدونيس وجمال الدين بن الشيخ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص الشعرية، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2010-2011، ص 47.

6 المرجع نفسه، ص 37.

7 رومان جاكبسون، قضايا الشعرية، ترجمة محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1988م، ص 35.

8 كمال أبو ديب، في الشعرية، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط1، 1987م، ص 53.

9 المرجع نفسه، ص

10 مسكين حسنية، شعرية العنوان في الشعر الجزائري المعاصر، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص الأدب الحديث والمعاصر، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران، السانيا، 2013-2014، ص 30-31.

11 ابن منظور، لسان العرب، مادة (ع ن ن)، المجلد 13، ص 290.

12 ينظر: عبد القادر رحيم، العنوان في النص الإبداعي- أهميته وأنواعه- مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ع1- ع2، جامعة محمد خيضر، بسكرة، جانفي-جوان، 2008م، (د، ص)

13 مسكين حسنية، شعرية العنوان في الشعر الجزائري المعاصر ص 32.

14 جميل حمداوي، سيميوطيقا العنوان، (د.د)، (د.ب)، الطبعة الأولى، 2015م، ص 8.

15 المرجع نفسه، ص

16 الطاهر روابنية،" شعرية الدال في بنية الاستهلال في السرد العربي القديم"، ضمن كتاب السيمياء والنص الأدبي، أعمال ملتقى معهد اللغة العربية وآدابها جامعة باجي مختار عنابة، 17/15، ماي 1995م، جامعة باجي مختار عنابة، ص 141.

17 بشير مفتي، أرخبيل الذباب، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط2، 2010م، ص 4.

18 الرواية، ص 5.

19 الرواية، ص 7.

20 الرواية، ص 5.